للمسجون على مراحل ، انها الموت نفسه ولكن بالتقسيط المريح !

ولكن أحقر ما فى السجن هو السجن الانفرادى غير ان الذين جربوا السجون مع الاخرين ، يكتشفون بعد فترة ان للسجن الانفرادى ميزة . ولأنه ميزة ، فهو وقف على المسجونين فى قضايا رأى . أو قضايا قتل ، أو أية قضايا اخرى ، شرط ان يكونوا من الاثرياء الممتلئين !

ولقد سجنت عدة مرات . ولكن لم تتح لى الظروف أن أرى السجن الحقيقى . . الا فى المرة الأخيرة ففى المرات السابقة ، كنت واحدا من الوف رجال الصحافة والاعلام ، والمشتغلين بالرأى وأمور السياسة . ولم أتعرف رغم محاولاتى الكثيرة على مسجون واحد من هذا الصنف الذى اعتاد الاجرام وأصبح التردد على السجون بعض مشاكله ، وبعض هواياته !

ولكن فى سجنى الاخير ، قدر لى أن أتعرف على عالم ، كنت أذهب الى قبرى حزينا لو مت دون أن أراه . عالم النشالين والقوادين واللصوص ، حثالة القاهرة يضمها سجن واحد !

ففى يوم ١٦ ديسمبر ١٩٧١ ، حملتنى سيارة مع بعض المحكوم عليهم الى سجن القناطر ، وهو سجن أكثر قسوة من سجن الباستيل ، لانه خداع . مظهره من الخارج يوحى بأنه مكان شاعرى ، يصلح لتجول العشاق والمحبين ، فأشجار السرو العالية تخفيه عن العيون ، وأشجار الجميز العتيقة تحف به من كل جانب ، والرياح المنوفى يتهادى تحت أقدامه معشوشبا مخضوصرا منحدرا نحو الشمال .

ولكن الذى يلج البوابة الخارجية ، سيحد نفسه فجأة فى مكان أشبه بمعسكرات الاعتقال . اسوار غليظة تعزل السجن عن العالم ، وأبراج حراسة مزودة بالكشافات ، والحراس مزودين بالمدافع الرشاشة . وفى فناء السجن يتجول الحراس وقد نزع النظام الصارم المفروض على السجن قلوبهم من صدورهم وتسلحوا بالعصى الغليظة ، والسياط . ومع الحراس تتحول عشرات من الفئران الضخمة التى تفر القطط من أمامها وتفسح لها الطريق ، وتضرب لها تعظيم سلام . وهى تقرض كل شىء . خشب المكاتب والمقاعد وأبواب الزنازين ، وتتحول فى النهاية الى طعام يشارك فى حل أزمة اللحوم فى داخل السجن . فالمسجونون القدماء ينصبون الفخاخ . . لصيدها وشيها على النار . . وأكلها .